

الصوامت والصوائت بين التشكيل الوظيفية في بناء المعجم العربي

إعداد الدكتور: الجودي مرداسي.
أستاذ محاضر
جامعة محمد خيضر - بسكرة.

مقدمة:

يعتبر علماء اللغة المحدثون دراسة الأصوات أول خطوة في أي دراسة لغوية، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة، ونعني بها الصوت الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني، أما اللغويون العرب فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرة، ولم يعالجوا الأصوات علاجاً مستقلاً وإنما تناولوها دائماً مختلطة بغيرها من البحوث⁽¹⁾.

وأول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابن جني المتوفي 392هـ في كتابه سر صناعة الإعراب⁽²⁾.

ولعله من المفيد أن نشير بدءاً إلى المصطلحات الواردة في عنوان البحث وهي الصوامت والصوائت ومنها الصوت ومداخل المعجم والبناء المعجمي .

1-الصوت:

الصوت الإنساني هو جوهر الكلام ومادته، يقول الجاحظ (ت 255هـ) الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف (*) كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف⁽³⁾، وهذا يعني أن الكلام يتحدد بداهة بأنه أصوات متقطعة ومنظومة في آن، لأن مادة الكلام هي أصوات متقطعة ولكنها منظومة على وجه مخصوص في كل لغة وهذا التصور يؤدي إلى أن الدراسة العلمية للكلام تقتضي تحليله من الجزء إلى الكل، ومن الكل إلى الجزء، لأن الأصوات المفردة المعزولة إذا نظمت صارت كلمات والكلمات بما تحمله من دلالات إذا دخلت في علاقات النظم صارت جملاً وكلاماً، وتحليل الصوت اللغوي معزولاً ومنظوماً كان محور التفكير الصوتي عند علماء اللغة قديماً وحديثاً حتى انهم كادوا يجمعون على أن اللغة أصوات وأن الحدث الكلامي لا يدرك أو يتجلى إلا في الصوت⁽⁴⁾.

إن القدامى بحسبهم الدقيق وذكائهم المتقدم اهتموا إلى أهمية الصوت اللغوي، الذي ينتجه الجهاز الصوتي للإنسان، شارحين أهميته وصلاحيته لإنتاج عدد كبير من الأصوات تبعاً لهذه المخارج المتعددة في الحلق والهمز والشفيتين⁽⁵⁾، فكان أول ما بدأوا به تعريف الصوت، فالصوت مصدر صات الشيء يصوت فهو صائت وصوت تصويئاً فهو مصوت، وهو عام غير مختص يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار قال تعالى: "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" لقمان 19، وقال الشاعر:

كأنما أصواتها في الوادي أصوات حجّ من عمان غادي

* - لا بد أن نلاحظ أن علماء العربية القدامى منذ الخليل كانوا يستعملون مصطلح "الحرف" للدلالة على الصوت اللغوي المفرد المنطوق مثل: الهمزة، الباء، التاء... إلخ، كما كانوا يستعملون أيضاً المصطلح نفسه للدلالة على الحرف المكتوب، ولذلك فعندما يتحدث الخليل عن الحرف فهو يعني الصوت المنطوق لا المكتوب.

وقال ذو الرمة (*):

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس أصوات الفراريج (6)

فالصوت هو الأثر السمعي الذي تحدثه تموجات ناشئة من إهتزاز جسم ما... واسم الصوت عند النحاة كل لفظ حكي به صوت أو صوت به لجزر أو دعاء أو تعجب أو تحشر (7).

إن الصوت بالمعنى العام "الذي يشمل اللغوي وغير اللغوي، هو الأثر السمعي الذي بهذبته مستمرة مطردة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا" (8)، أما الصوت اللغوي فهو أثر سمعي يصدر طواعيه واختيار عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق، والملاحظ أن هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة، ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة، أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضا، ومعنى ذلك أن المتكلم لا بد أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على الأصوات اللغوية (9).

إن الكلمة -كما تصورها نحاة العربية - عبارة عن صوت منطوق وتتألف من صامت وصائت على الأقل، فما هو الصامت والصائت؟

2-الصوامت والصوائت بين التشكيل والوظيفة:

تصنف الدراسات اللغوية الحديثة الأصوات اللغوية إلى قسمين هما:

1-الأصوات الصامتة consonnes

2-الأصوات الصائتة voyelles

أولا: الأصوات الصامتة: consonnes

أطلق عليها العرب مصطلح "الحروف الأصول"، ومنها يتكون جذر الكلمة وعددها في العربية ثمانية وعشرون صوتا، يدخل فيها الواو غير المدة والياء غير المدة (10) وأساس تقسيم الأصوات إلى صامتة وصائتة هو وجود حبس أو تضيق في مجرى الهواء عند النطق بالصوامت، وعدم وجود أي حبس أو تضيق عند النطق بالصوائت، وهذا الأساس وحده هو المعول عليه لدى أكثر الدارسين المحدثين (11) ويلاحظ أن معظم الدراسات القديمة للأصوات كان يعني بالصوامت وصفاتها لكثرتها وسهولة ضبطها، واعتماد الكثير من اللغات عليها أساسا لبناء الكلمات، على حين أن الصوائت على الرغم من كثرة دورانها في الكلام ووضوحها السمعي لم تلق مثل تلك العناية ولذلك سعت الدراسات الصوتية الحديثة إلى إيلاء الصوائت اهتماما كبيرا (12).

فالصامت إذن هو الصوت الذي يحدث في النطق به انسداد جزئي أو كلي كما أنه أقل وضوحا في السمع من الصوائت، فالصوائت تسمع من مسافة أبعد مما تسمع عندها الصوامت (13).

* - البيت في ديوانه ص 996، الضمير في إيغالهن للإبل، والإيغال: المضي والإبعاد، الفراريج: جمع فروج وهو الفتى من ولد

الدجاج، ويروى انقاض الفراريج وهو تصويتها.

وللصامت في دراستنا العربية تسميات أخرى كالصحيح والساكن والحبيس يقابلها في الفرنسية مصطلح ^(*)consonne، حروف الهجاء العربية^(**) وترتيبها: يجمع الباحثون على أن الفنيقيين هم الذين نشروا الحروف الهجائية، وعلى أن حروفهم هي أصل كل هجاء، لكنهم اختلفوا في مكان نشوء الخط العربي وطريقة وصوله إلى العرب... وكانت أحرف الهجاء الفنية اثنتي وعشرين حرفاً مرتبة كالتالي: أ ب ج د-هـ و ز-ح ط ي-ك ل م ن-س ع ف ص-ق ر ش ت- فأخذها العرب مع ترتيبها ثم زادوا عليها الأحرف الستة التالية: ث خ ذ-ض ظ غ^(*) فأصبحت عندهم ثمانية وعشرين حرفاً.... ومجموع الأحرف العربية بهذا الترتيب أطلق عليه اسم "الأبجدية العربية" نسبة إلى الكلمة الأولى من الكلمات الثماني التي تجمعها⁽¹⁴⁾، وكانت الأحرف العربية في بادئ أمرها لا تعرف التنقيط إلا في بعض حروفها، فلما كثرت التصحيف في العراق لجأ الحجاج -كما يروى- إلى كتابه في عهد عبد الملك بن مروان وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة، فتولي نصر بن عاصم هذه المهمة، فوضع النقط بشكلها الحالي، معتمداً على مبدأ الإهمال والإعجام، وعلى جمع الحروف المتشابهة، مما اضطره إلى مخالفة الترتيب القديم (أي الترتيب الأبجدي) إلى إتباع ترتيب آخر هو الترتيب الهجائي أو الألفبائي^(**) (أ.ب.ت.ث.ج.ح.د.ذ... إلخ) القائم على أساس وضع الحروف المتشابهة بصورة الرسم بعضها قرب بعض، وعلى هذا الترتيب الذي ابتدعه نصر بن عاصم نظم معظم اللغويين العرب مواد معاجمهم⁽¹⁵⁾، ولا أعرف أحداً استعمل ترتيب أبجد هوز في معجم⁽¹⁶⁾.

ثانياً: الأصوات الصائتة (الحركات):

للأصوات الصائتة في دراستنا الحديثة تسميات متعددة كالمصوت والحركة والعلّة وصوت اللين وهي تقابل مصطلح *Voyelle* في الفرنسية وتعرف بأنها "الأصوات التي تخرج دون أن يعترضها حاجز يسد مجرى النطق أو يضيقه، لذلك اعتمد نطقها على اهتزاز الوترين الصوتيين الذي يولد الجهر، فالصوائت كلها مجهورة،

*- فضل بعض العلماء ومنهم كمال بشر التسمية "بالأصوات الصائتة" وأشار إلى أن ابن جني في الخصائص (1/124-125) استعمل مصطلح (صائت) و"مصوت" والمولى شمس الدين أحمد المعروف بديكنفور استعمل مصطلح "صامت" إلا أنه اختلفت ترجمة هذين المصطلحين عند اللغويين العرب حيث استعمل إبراهيم أنيس: الأصوات الساكنة والأصوات اللينة، وعند محمود السعمران، صوامت وصوائت وعند تمام حسان: صحيحة وعلّة، وعند كمال بشر: صامت وحركات، وعند أحمد مختار عمر سواكن وعلل، وعند محمد الأنطاكي، حبيسة وطلقة وهكذا.

*- وتسمى أيضاً حروف الالفباء والحروف الأبجدية وحروف المباني وحروف المعجم.

*- وتسمى هذه الأحرف بالروادف لأن العرب أردفوها بالحروف الأولى.

*- (أو الألفباء) تعريب لكلمة الفرنسية *alphabet* وهو مصطلح يعم جميع اللغات التي أخذت حروف كتابتها من الأبجدية الفينيقية للدلالة على حروف الهجاء كافة... وهو مأخوذ من اسمي الحرفين الأولين من حروف الأبجدية، لمزيد من التفصيل حول هذا الترتيب أنظر: عدنان الخطيب المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص 22-25.

وهي أحادية التصويت، كما تمتاز بوضوحها السمعي وكثرة دورانها في الكلام، وهي من أصعب الأصوات نطقاً على المتكلم الذي يتعلم اللغة الأجنبية... ولا بد من الإشارة هنا إلى أن نطق الصوائت هو الذي يعطي اللغة صفة لهجية خاصة يعتادها أهل اللغة فيحسون إحساساً دقيقاً بأي خروج عليها ولاسيما من الأجنبي⁽¹⁷⁾، فالصوائت القصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة) هي جزء من بنية الكلمة، وبنية الكلمة تصبح مجالاً تتبادل فيه هذه الصوائت المواقع، إذ قد يحل أحدها محل الآخر، كما تسمى هذه الحركات بأصوات ناقصة، أما أصوات الساكنات أو الحروف فهي أصوات كاملة "وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنها تقلق الحرف الذي تقترب منه، وتجذب نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجذب نحو الياء، والضمة تجذب نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ بها مداها تكملت الحركات حروفاً أعني ألفاً وياء واوا⁽¹⁸⁾، وابن جني أدرك معنى هذه الأصوات الحركات، ودورها وبين الفرق بينها وبين الأصوات الصامتة "الحروف" في النطق والصفات، وأوضح أن هناك حركات قصيرة وأخرى طويلة، وعبر عن الفرق بينهما بدقة قائلاً "أعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف الثلاثة، وكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدموا النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة⁽¹⁹⁾ ونستنتج من هذا القول أن:

1- الحركات القصيرة في العربية ثلاث أساسية وهي الفتحة والكسرة والضمة ورموزها هي: ُ، ِ، َ.

2- الحركات الطويلة وهي الفتحة الطويلة أو ألف المد، الكسرة الطويلة أي ياء المد، الضمة الطويلة، أي واو المد، ولا شك أن هذه الحركات مرت بمرحلة النقط والإعجام.

النقط والإعجام والشكل: رأى المسلمون - حفاظاً على لغة التنزيل من اللحن - أن يسان القرآن بالضبط فطلب^(*) من أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) أن يعمل على ضبط القرآن فوافق على القيام بما عهد إليه فوضع نقطه الاعرابي للقرآن متخذاً لذلك كاتباً فطنا حاذقاً من بني عبد القيس وقال له: " إذا رأيتي قد فتحت فمي بالحرف، فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضمنت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتي فأجعل النقطة من تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة فأجعل مكان النقطة نقطتين، وأبدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره، بينما كان الكاتب يضع النقط بصبغ يخالف لونه لون المداد الذي كتبت به الآيات⁽²⁰⁾ "وسمي هذا على العمل (رسم العربية)، ثم قام نصر الدين بن عاصم الليثي (ت 89هـ) فوضع نقطاً جديداً على حروف المصحف يميز بين الأحرف المتشابهة في الرسم منسقا بين مجموعات الحروف ناقطاً بعضها من فوق وبعضها من تحت حتى استكملت الحروف إعجامها وهو المعروف إلى اليوم، وسمي هذا النقط (نقط الإعجام)، وجاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) فطور نقط أبي الأسود وذلك بتغييره إلى علامات أكثر دلالة على الإعراب فجعل للفتح ألفاً مائلة فوق الحرف، وللضم واواً صغيرة فوق الحرف أيضاً، وللکسر صغيرة تحت الحرف، وللتشديد شيناً صغيرة، وللتخفيف خاء صغيرة أيضاً، وزاد هذه العلامات فوضع الهمز

*-طلب منه زياد بن أبيه وكان يومئذ والياً على العراق للقيام بهذه المهمة.

والروم والاشمام منطلقا في ذلك من رأيه بأن هذه العلامات، إنما تمثل الحروف التي أخذت منها، وهي زائدة تلحق السواكن معينة للنطق بها،⁽²¹⁾ وعلى الرغم من كل هذا، يؤدي نظام الكتابة العربية من حيث الضبط بالحركات إلى سوء فهم في تحديد طبيعة الأصوات المتحركة لأن هذا النظام لا يرمز إلى الحركات القصيرة في داخل بنية الكلمة العربية، وإنما توضع رموزها فوق حروف الكتابة أو تحتها، كما نجد في حركات الفتحة والكسرة والضمة، فتوهم القدماء إنها تابعة للأصوات الصامتة وليست رمزا لصوت مستقل لا يقل شأنًا عن الصوامت، ويبدو هذا الفهم واضحا في وصف ابن اجني لعلاقة الصوائت القصيرة بالصوامت يقول: "لما كان الحرف قد يوجد ولا حركة معه وكانت الحركة لا توجد إلا عند الحرف صارت كأنها قد حلتته، وصار هو كأنه قد تضمنها"⁽²²⁾، كما وقعوا في خطأ آخر من أثر نظام الكتابة العربية حين عدوا الصوائت الطويلة وهي الألف في مثل "قال" والواو في (يدعو) والياء في المسلمين أصواتا ساكنة، أي من الصوامت، وعدوا الفتحة التي قبل الألف والضمة التي قبل الواو الكسرة التي قبل الياء هي الحركات، في حين أن الألف والواو والياء في مثل هذه المواضع هي علامة الفتحة الطويلة والضمة الطويلة والكسرة الطويلة والسبب في ذلك أن نظام الكتابة العربية يرمز للحركات الطويلة برمز داخل بنية الكلمة بعكس الحركات القصيرة التي تكتب برمز توضع فوق الحرف⁽²³⁾.

البناء الصوتي للمعجم العربي:

سأعالج في هذه النقطة مكونات المعجم، والشروط الواجب توفرها فيه، ما هو أول معجم عربي، ثم البناء الصوتي للمعجم العربي.

إن المعجم كأداة لغوية ومعرفية يعبر عن المستوى الثقافي للأمة، وبواسطته يتم ترسيخ اللغة وتكريس مكانتها واستمراريتها، وعبره يتم خلق كل الأشكال الاجتماعية للاتصال، وهو أسمى كتاب حامل لكنز مشترك، وفضاء متسع الأرجاء لمعرفة مرجعية⁽²⁴⁾، وعندما نستقري التعاريف المحددة لطبيعة المعجم نجدها تتفق على "أنه كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين موضع استعمالها⁽²⁵⁾، وبذلك يحتل موضوع الترتيب الركن الأساسي في التأليف المعجماتي ولا يستقيم إلا به... وفي هذا السياق أخذ الترتيب حيزا كبيرا في الفكر المعجماتي العربي... وليس من الصدف أن يرتبط ميلاد التأليف المعجماتي بمنهجين في مجال الترتيب.

1- الترتيب الهجائي.

2- الترتيب حسب مخارج الأصوات. (26)

وقد ذهب إبراهيم السامرائي إلى أنه لم يطلق على المعجم اسم المعجم إلا في أواخر القرن الرابع عشر الهجري، أما قبل ذلك فهو كتاب، وأول معجم بهذا الاسم معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس (27) ولعل التاريخ الحقيقي لظهور المعاجمية كحقل خاص له أسسه النظرية وإجراءاته التطبيقية يبدأ مع معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، فهو بحق المبدع الأول لهذا العلم، سواء على مستوى جمع الرصيد المفرداتي أم ترتيب المداخل أم مناهج التعريف ووسائله التوضيحية، من أسيقة وشواهد (28)، حيث إن الباحثين يجمعون على أن الخليل بن أحمد هو أول من وضع معجماً لغوياً عربياً، فوضع الغويين منهج التأليف المعجمي وسن لهم سنته، ثم تتالت المعاجم بعده تنهج كل نهجه أو نخالفة في بعضه، يقول صاحب المزهري "أول من صنف في جمع اللغة الخليل بن أحمد، ألف في ذلك كتاب العين المشهور" (29).

رؤية الخليل للترتيب الصوتي في بناء المعجم العربي:

لقد حصر الخليل الفراهيدي منهجه في ثلاث مراتب:

1- تحديد مخارج الأصوات باعتبار الصوت أداة دالة على الحرف.

2- حصر الأبنية الكلامية المميزة للغة العرب في الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي.

3- إخضاع الترتيب القائم على مخارج الحروف حسب تدرج البناء الصوتي حيث بدأ بحروف الحلق ثم اللهوية ثم الشجرية، ثم الأسلية الصفيرية ثم الغارية النطعية والثوية والذلقية وانتهى بالحروف الشفوية فالهوائية فجاء ترتيب للأصوات اللغوية في العربية على النحو التالي:

ع ح ه خ غ/ق/ك/ج ش ض/ص س ز/ط د ت/ظ ذ ث/ر ل ن/ف ب م/و أ ي /الهزمة (30)

فقد بني معجمه العين على أساس مخارج الحروف ووجد أن أعرق الحروف مخارجاً حرف العين وبه بدأ معجمه، فحين أقبل الخليل بن أحمد على الحروف لم يرتض ترتيبها الأبجدي القديم ولم يقنعه ترتيبها الهجائي المعروف، فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول: أ ب ت ث وهو الألف، لأن الألف حرف معتل فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء نظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاتها، فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق (31)، ومعنى هذا أن الخليل نظر إلى الحروف على أنها أصوات تخرج من جهاز النطق، فعمد إلى ترتيبها على أساس مخارجها من هذا الجهاز، فبدأ بأصوات الحلق وجعلها أقساماً، ثم أصوات أقصى الفم، ثم أوسط الفم وهكذا (32)، وكان الخليل أول من ذاق الحروف واحداً واحداً، ليتعرف مخارجها، يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر "وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف: أ ب/أ ت/أ ح/أ ع/أ غ/فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب، ثم أقرب منها الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم (33)، وهذا معناه تجربة النطق بالصوت ساكناً، لئلا يختلط بغيره، ويلتبس على الناطق معرفة كيفية صدوره، ومخرجه الدقيق، وهذه الطريقة تقرب مما يدعوا إليه المحدثون من علماء الأصوات (34)، ومن المفيد أن نلاحظ أن مصطلح "صوت" لم يرد في مادة الخليل الصوتية

ولم يكن من مصطلح العلم اللغوي إلا في القرن الرابع الهجري، فقد ورد في مصطلح العلم اللغوي إلا في القرن الرابع الهجري، فقد ورد في مصطلح ابن جني (التصريف الملوكي)، فكلمة "حرف" تعني في مصطلح الخليل ما نعنيه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر يقول "فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحد في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب ⁽³⁵⁾ فقله حروف الكلمة يعني أصواتها ⁽³⁶⁾، غير أن أهم ما نلاحظه على تصنيف الخليل هذا لمباني الكلمة العربية، أنه أقام هذا التصنيف على عد الصوامت أو الصحاح دون الصوائت أو الحركات، لأنه كان يرى أن الصوائت القصيرة مثل: الفتحة والكسرة والضمة زوائد على البناء يتوصل بها إلى النطق فقط وأن الأصل في البناء هو الصوامت أو الصحاح ⁽³⁷⁾، ولعل فكرة زيادة الصوائت غير دقيقة من الناحية اللغوية، لأن وظيفتها أحيانا تتعدى عملية النطق... إذ تشترك مع الصوامت في خلق كلمات ذات صيغ ودلالات تتوقف أحيانا على هذه الصوائت مثل اسم الفاعل من غير الثلاثي والفرق بينه وبين اسم المفعول وغيرها كثيرا ⁽³⁸⁾، ولكن قد يكون إهمال الصوائت طبقا لمبدأ الوضع في المعاجم، له ما يبرره، إذ لا بد من ترتيب المداخل على أصل ثابت لا يتغير، وهو ما عبر عنه المعجميون حديثا باسم الاشتراك في المادة أو البناء الاساسي Basic form حيث يجعلون الصوامت في اللغات التي تشبه العربية مثل اللغات السامية وغيرها مدخلا Entry form في ترتيب مادة المعجم، ومن ثم شرح معاني ودلالات الكلمات التي ترجع إلى هذا الأصل الواحد أو الجذر Root المكون من الصوامت؛ وهو في ذات الوقت يرمز إلى الدلالة الأصلية أو العامة التي تشترك فيها جميع المشتقات المنحدرة من هذا الجذر ⁽³⁹⁾، بل إننا نلاحظ أن الخليل عندما أراد أن يمثل الفكرة التقاليب لم يقتصر على الصوامت وحدها أحيانا، بل أتى بكلمات مركبة من الصوامت والصوائت ولكن تغيير الصوامت داخل البنية مع بقاء الصوائت ثابتة يؤدي عنده أيضا إلى كلمات جديدة، وأكثر ما يظهر ذلك في البناء الثلاثي مثل تقليبه للفعل ضرب الذي يتكون في الواقع من ست فونيمات هي الصوامت والصوائت ممثلة في ثلاث فتحات فوق الصوامت ⁽⁴⁰⁾.

وعلى هذا نجد أن مبدأ الوضع عند الخليل لم يكن مجرد ترتيب للمداخل فقط وإنما كان نظرية علمية وثيقة الصلة بمبدأ الجمع أيضا، ومن هنا نشير إلى أن المدرسة الخليلية استطاعت إنجاز أضخم مشروع معجماتي على يد الأزهري في "تهذيب اللغة" والزيدي في "مختصر العين"، وأبي علي في "البارع" وابن سيده في "المحكم" والصاحب في "المحيط" وكل من هؤلاء العلماء أضاف إضافات علمية هامة سواء في مجال توفير المادة المعجمية، أو في مجال الترتيب القائم على المجموعات الصوتية ⁽⁴¹⁾ وفي الأخير نقول: إن المعنى الرئيس للكلمة في العربية يرتبط بالحروف الأصول (الصوامت) في حين يقتصر دور الحركات (الصوائت) على تحوير المعنى الرئيسي وتعديله، ولقد أدى ذلك إلى قيام المعجم العربي على الحروف الأصول أو ما يسمى بجذر الكلمة، والتي لا تكون إلا من الأصوات الصامتة أو أشباه الصوامت (الواو والياء) دون اعتبار لوجود الحركات إلا بشكل ثانوي، وأدى ذلك بدوره إلى توفر الاهتمام بالأصوات الصامتة بدرجة تفوق اهتمامهم بالحركات ⁽⁴²⁾، هذا بالإضافة إلى اعتماد الكتابة العربية على التشكيل حيث أن الحركات في العربية ليست جزءا من نسيج الكلمة، فلا تكتب جنبا إلى جنب -أفقيًا- مع الصوامت كما في اللغات الأخرى، بل تنفصل عنها

فتكتب فوق الحرف أو تحته، وأدى ذلك إلى سوء فهم قديم في تحديد طبيعة الحركات في العربية حيث حملهم على القول بأنها تابعة للحرف (الصامت) وليست صوتاً مستقلاً⁽⁴³⁾.

والله أعلى وأعلم.

الهوامش:

- 1- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط2، 1976، عالم الكتب القاهرة، ص.72
- 2- ابن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق، حسن هنداي، ط2، 1993.
- 3- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت (د ط)، (د ت) 1979.
- 4- حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، (د ط) 2003، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- 5- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 11/1.
- 6- أنظر: المصدر نفسه 9/1.
- 7- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص.527.
- 8- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (د ط) 1979، دار الثقافة الدار البيضاء، ص.67.
- 9- ينظر: كمال بشر، علم الاصوات، (د ط) 2000، دار غريب القاهرة، ص.119.
- 10- الصوائت والمعنى في العربية، دراسة دلالية ومعجم، محمد داود، دار غريب القاهرة، (د ط) 2001، ص.15.
- 11- ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، ط1، 1996، ص.59.
- 12- المصدر نفسه، ص.59.
- 13- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط5، 1979، مكتبة الأنجلو المصرية، ص.27.
- 14- إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية، بداعتها وتطورها، ط1، 1981، دار العلم للملايين، ص.32-33.
- 15- ينظر: المصدر نفسه، ص.34-35.

- 16- محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ط1، 1966، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، هامش، ص.40
- 17- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص88. أخذ بتصريف.
- 18- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 26/1-27.
- 19- المصدر نفسه، 17/1
- 20- أنظر: محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ط1، 1980، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص53-54.
- 21- المصدر نفسه، ص 55. وأنظر: كمال بشر، علم الاصوات، ص420-425.
- 22- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 37/1
- 23- حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 63-64.
- 24- عبد الغني أبو العزم، المعجم المدرسي أسسه وتوجهاته، ط1، 1997، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، ص.07
- 25- إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، ص09. وأنظر: مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، ص38، وعلم الدلالة والمعجم العربي، عبد القادر أبو شريفة وآخرون، ص113، ودراسات في الدلالة والمعجم، عبد الجواد ابراهيم، ص142، ومقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 14.
- 26- عبد الغني أبو العزم، المعجم المدرسي أسسه وتوجهاته، ص 191.
- 27- عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدلالة والمعجم العربي، ص114.
- 28- الجلالى حلام، المعاجمية العربية، ط1، 1997، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ص.04
- 29- السيوطي، المزهري، 47/1، وأنظر: تمام حسان مناهج البحث في اللغة، ص.271
- 30- الخليل أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هندواي، ط1، 2003، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 3/1
- 31- الخليل بن أحمد، العين، تحقيق ابراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، مطابع الرسالة بالكويت، 1980، 52/1
- 32- محمد علي عبد الكريم الرديني، المعجمات العربية دراسة منهجية، ط1، 1403، و.ر، منشورات جامعة ناصر، الخمس ليبيا، ص.50
- 33- الخليل، العين، تحقيق السامرائي والمخزومي، 52/1